سلسلة
من علماء الإسلام

٥

الإمام البخاري

(إمام الحديث)

تأليف
إيهاب سعيد النجمي
أحمد سعيد النجمي

إبداع للطباعة والنشر والتوزيع

سلسلة من علماء الإسلام

٥

الإمام البخاري

(إمام الحديث)

تأليف

إيهاب سعيد النجمي

أحمد سعيد النجمي

عادت رقية من المدرسة فألقت السلام على والدها ووالدتها وقبلت أيديهما .

ثم جلست جوارهما لتروي لهما ما حققته في يومها المدرسي من نجاح وتفوق

... أخرجت رقية من حقيبتها شهادة درجاتها لِتُريَ والديها الدرجات النهائية التى حصلت عليها في الاختبار الماضي .... سُر والد رقية ووالدتها بدرجاتها النهائية

وقال لها والدها الدكتور إبراهيم :

جزاكِ الله خيراً يا رُقَيَّة .... هكذا المسلم دائماً متفوق . ولا يكسل في طلب العلم وتحصيله .

رقية : نعم يا أبتِ ، وأنا أحفظ حديثاً للنبي ﷺ يحثُّ على طلب العلم ، يقول فيه الرسول ﷺ " مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ "

صدق رسول الله ﷺ

الوالد : أحسنت يا رقية ، فالله يجعل جزاء طالب العلم الجنة فيسهلها الله له ... ومن أجل ذلك حَرَصَ المسلمون قديمًا على طلب العلم فكانوا يبذلون كل وقتهم وجهدهم في سبيل تحصيل العلم .... ومن هؤلاء العلماء الذين اهتموا بالعلم وتحصيله الإمام البخاري . أتعرفينه يا رقية ؟

رقية : نعم يا أبي أعرف اسمه . فأرى عقب كثير من الأحاديث عبارة " رواه البخاري" لكني لا أعرف عن حياته شيئًا .

الوالد : سأقص عليك قصة حياته وسأخبرك بأمره ، فهو أحد علماء الإسلام الأفذاذ النابهين الذين تركوا ما ينفع المسلمين إلى يوم القيامة ، ولذا فهو جدير بأن نعرف سيرته لنقتديَ بها ونتعلم منها ما يفيدنا وينفعنا .

رقية : نعم يا أبي ، أريد أن أعرف عنه كل شيء ، أريد أن أعرف متى ولد ؟ وأين ولد ؟ وكيف أصبح عالمًا مشهورًا ؟

الوالد : وُلد الإمام البخاري ببلدة تُسمى " بُخَارى " في منطقة اسمها خُرَاسَان

في بلاد فارس القديمة ، ومن أجل ذلك سموه " البُخَاري " نسبة إلى بلده كما نقول المصري الذي هو من مصر والعراقي الذي هو من العراق والسوري للذي هو من سوريا .

رقية : إذن هذا ليس اسمه الحقيقي يا والدي ؟! الوالد : نعم يا رقية : اسمه محمد ابن إسماعيل ، وكان أبوه إسماعيل يحب العلم فاشتغل به .

رقية : هذا عن مكان مولده يا أبي ، فماذا عن سنة ولادته ؟!

الوالد : ولد الإمام محمد بن إسماعيل البخاري سنة أربع وتسعين ومائة هجرية " ١٩٤هـ

رقية : قلت لي يا أبي : إن أباه كان يحب العلم ويشتغل به .

الوالد : نعم يا رقية ، كان أبوه يحب العلم .

رقية : وعلى هذا فإن أباه هو الذي علمه وجعله عالمًا كبيرًا ؟

الوالد : لا يا رقية ، لم يعلمه أبوه شيئًا .

رقية : لم يا والدي ؟!

الوالد : لأن أباه توفي وابنه صغير السن ، فلم يدرك الإمام البخاريُّ والدَه ولم يتعلم منه شيئًا ، وإنما تربى في حجر أمه ، فهي التي رعته وَرَبَّتْه .

رقية : ما أعظم دور الأم يا والدي ! تستطيع أن تخرج علماء وعظماء بحسن تربيتها لأبنائها وحرصها على تعليمهم .

الوالد : نعم يا رقية ، للأم دور عظيم جدًا ، فلو كانت أم البخاري أهملته أو لم تهتم بتربيته ولم تحرص على تعليمه لما كان البخاري العالم العظيم .

رقية : ومتى بدأ البخاري التعلم يا والدي ؟

الوالد : بدأ البخاري يتعلم منذ صغره فحفظ القرآن الكريم كله وهو صغير جدًا قبل أن يبلغ العاشرة من عمره ، وكذلك بدأ يحفظ أحاديث النبي ﷺ قبل العاشرة أيضًا ...

وكان حدث له حادث وهو صغير يدل على أن له شأنًا عظيمًا .

رقية : وما هذا الحدث يا والدي ؟

الوالد : أصاب البخاري في صغره مرض في عينه استمر لأيام إلى أن ذهب بصره .

رقية : ذهب بصره تمامًا وأصبح لا يرى شيئًا ؟!.

الوالد : نعم ذهب بصره تماما وأصبح لا يرى شيئا ، وظلت أمه تبكي وتدعو الله أن يشفي ابنها وأن يَرُدَّ إليه بصره .

رقية : وماذا حدث يا والدي ؟

الوالد : استمرت أمه في البكاء والدعاء والتوسل إلى الله حتى رأت – في ليلة من الليالي وهى نائمة – سيدنا إبراهيم .

رقية : رأت سيدنا إبراهيم خليل الله في نومها ؟!

الوالد : نعم يا رقية .

رقية : وماذا قال لها يا والدي .

الوالد : قال لها ، إن الله رد بصر ابنك " محمد " لكثرة

بكائك ودعائك . فقامت أم البخاري من نومها وأسرعت إلى ولدها فأيقظته وسألته إن كان يرى أو لا ، فقال لها : نعم أنا أراك يا أمي . فحمدت الله عز وجل على تلك النعمة وأن استجاب لدعائها ورد بصر ابنها بعدما كان ذهب

رقية : الحمد لله يا والدي أن استجاب لأم البخاري ورد بصر ابنها إليه .

الوالد : حقًا يا بنيتي ، إن الله رءوف رحيم بالعباد عَلِمَ بكاء أم البخاري وحزنها وكثرة دعائها وإلحاحها فرد بصر ابنها ، ويدلنا هذا أيضًا على توفيق الله للبخاري وعنايته به منذ صغره .... وبدأ البخاري بعد تلك الحادثة يختلف إلى حلقات تعليم القرآن والحديث والفقه وهو لم يبلغ العاشرة بعدُ .

رقية : وهل كان يتعلم ذلك كله وهو دون العاشرة ؟

الوالد : نعم يا بنيتي .. ومن طريف ما حدث له وهو في هذه السن الصغيرة أنه كان يحضر تلك الحلقات في المسجد فكان يدخل ويجلس في الحلقة دون أن يُلْقي السلام على الجالسين ، فسأله أحد الجالسين يومًا : لم لا تَلقي السلام يا محمد؟

فقال : أستحيي من الجالسين لصغر سني . فسأله : كم حفظت من أحاديث اليوم .؟ فرد عليه : حفظت حديثين ، فضحك بعض الحاضرين ، فقال لهم الرجل : لا تضحكوا منه اليوم ، سيكون له شأن عظيم بعد ذلك وتودون لو تجلسون معه .

رقية : حقًا يا والدي ، صار له شأن عظيم لم يبلغ أحد مثله .!

الوالد : لم يمر عام أو عامين على ذلك الموقف حتى كان للبخاري شأن في رواية الحديث ، فيروى أن أحد أساتذة الحديث الذين اشتهروا بحفظه وروايته واسمه " الداخلي " يروى أنه ذكر حديثا في جمع من الناس كان بينهم الإمام البخاري ، وكان الداخلي أخطأ في الحديث ، فصحح له البخاري ، فانتهره الداخلي وقال له : ما قُلْتُهُ هو الصواب . فطلب البخاري منه في أدب أن يرجع إلى الكتاب الذي فيه الحديث فأحضر الداخلي الكتاب وراجع الحديث ، فعلم أن كلام البخاري هو الصحيح وكانت هذه الحادثة وعمره أحد عشر عامًا فقط .

رقية : يا له من حافظ متقن يا والدي !! يصحح الأحاديث لشيخ من الشيوخ الكبار وهو مازال في صباه !! إنه رزق من الله وهبه إياه .

الوالد : نعم يا بنيتي : إن هذا العلم رزق من الله يجب أن يشكر صاحبه الله عليه ليديمه عليه ويحفظه له وهذا ما كان يفعله البخاري .

رقية : كيف ذلك يا والدي ؟

الوالد : كان البخاري يا رقية يكثر من الصلاة والتقرب إلى الله ، عز وجل فكان يصلي الصلوات الخمس في أوقاتها ولم يكتفِ بذلك وإنما كان يقوم كل ليلة في وقت " السحر " ليصلي تقربًا إلى الله عز وجل .

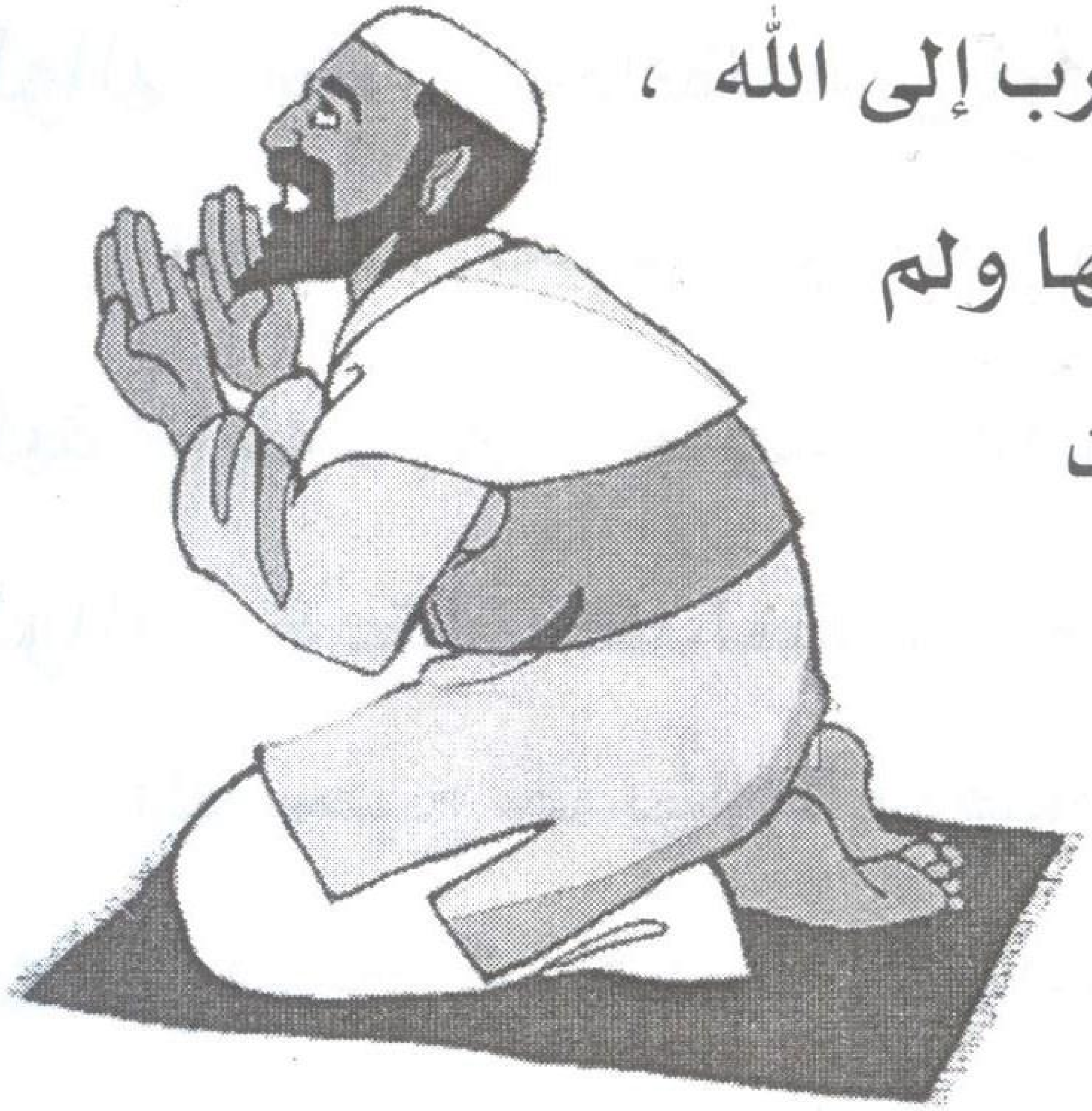

رقية : وما هو وقت " السحر " يا والدي ؟

الوالد : وقت السحر يا رقية هو الوقت الذي قبل أذان الفجر أي في الثلث الأخير من الليل . فكان الإمام البخاري منذ صغره يقوم في ذلك الوقت كل ليلة والناس نيام فيتوضأ ويصلي قيام الليل

رقية : يا له من مجتهد في العبادة يا والدي !

الوالد : نعم يا صغيرتي ، علم أن رضا الله مفتاح كل خير فحرص على إرضائه.

رقية : وماذا كان يفعل غير الصلاة يا أبتِ ؟

الوالد : كان محافظًا على قراءة القرآن الكريم باستمرار فكان لا ينقطع عنه ، حتى قيل إنه كان يختمه مرة كل يوم في رمضان أي يقرؤه كله مرة كل يوم في رمضان .

رقية : إنه كان مجتهدًا جدًا في العبادة .

الوالد : وكان كذلك في تحصيل العلم فروي عنه أنه قال: " ما وضعت في كتابي الصحيح حديثًا إلا توضأت وصليت ركعتين " . فكان دائم الاتصال بالله عز وجل لا يلهيه شيء عن ذكر الله ، يستعين على تحصيل العلم بطاعة الله وكأنه كان يعمل بقوله تعالى ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾ (البقرة : ٢ /٢٨٢)

رقية : وما مجال علمه يا أبتِ ؟

الوالد : كان البخاري يا بنيتي يشتغل بجمع أحاديث النبي ﷺ ، فوقف

حياته على جمعها ، حفظها وتدوينها حتى بلغ في ذلك مبلغًا عظيمًا ، حتى إنه كان يرحل إلى أي بلد يعلم أن بها رجلاً يحفظ حديثا ليس عنده ، فروي عنه أنه أخذ أحاديث من أكثر من ألف شيخ ، وكان يأخذ من كل واحد من هؤلاء أكثر من عشرة آلاف حديث .

رقية : إنه عدد كبير جدًا يا والدي .!!

الوالد : نعم يا بنيتي ، ما بالك برجل يحفظ كل هذه الأحاديث ؟! أليست الجنة مثواه ورضا الله جزاءه ؟!

رقية : حقًا يا والدي ، حُق له أن يكون أعلم الناس بأحاديث النبي ﷺ .

الوالد : لقد أصبت يا بنيتي ، فهو أعلم الناس بأحاديث النبي المصطفى ﷺ ... وقد قال عنه أحد العلماء وهو " نعيم بن حماد " : " البخاري فقيه هذه الأمة " أي هو أعلم رجل في المسلمين من عصره حتى عصرنا هذا . وقال عنه عالم آخر وهو " ابن خذيمة " : ما رأيت تحت أديم السماء أعلم بحديث الرسول ﷺ وأحفظ له

من محمد بن إسماعيل البخاري .

ويقول البخاري عن نفسه : أحفظ مائة ألف حديث صحيح ومائتي ألف حديث غير صحيح .

رقية : أي كان يحفظ ثلاثمائة ألف حديث يا أبتِ ؟!

الوالد : نعم يا بنيتي كان يحفظ ثلاثمائة ألف وأكثر .

رقية : وما الفرق بين الحديث الصحيح وغير الصحيح يا أبي ؟

الوالد : الحديث الصحيح هو الذي صحت نِسبته إلى رسول الله ﷺ ويثبت روايته عن النبي ﷺ ، أما غير الصحيح فهو الذي في نسبته إلى النبي ﷺ شك .

رقية : ما أعظم فضل هذا العالم الجليل يا والدي !! الوالد : حقاً يا صغيرتي ، ما أعظم فضله على المسلمين ، وقد عرف معاصروه هذا الفضل له ، فكانوا يجلونه ويحترمونه ويحرصون على حضور حلقات علمه ودروسه ، فقد

كان يصل عدد الحاضرين في مجلسه في بعض الأحيان إلى عشرين ألف رجل .

رقية : وأين هذه الأحاديث التى رواها البخاري يا أبي ؟

الوالد : هذه الأحاديث سجلها البخاري في كتابه الشهير الذي وصل إلينا وسماه " **الجامع الصحيح** " وهو مشهور بـ (**صحيح البخاري**).... وقد استغرق البخاري في تأليف هذا الكتاب حوالي ستة عشر عاماً .

رقية : يا له من رجل مثابر وصبور يا والدي ؟

الوالد : ليس ذلك فحسب يا بنيتي ، وإنما يروى عنه أنه كان مشغولاً بالعلم لدرجة كبيرة فيقول أحد ملازميه : بِتُّ عند البخاري ليلة فكان يقوم ويضيء السراج ويراجع حديثا في كتابه ثم يطفئه وينام ، ثم يقوم مرة أخرى فيضيئه ليراجع حديثًا آخر ثم يطفئه وينام ، ثم يقوم ثالثة فيفعل مثلما كان يفعل إلى أن فعل ذلك حوالي ثماني عشر مرة في الليلة الواحدة .

رقية : إلى هذا الحد كان اشتغاله بالعلم يا أبتِ ؟

الوالد : نعم يا بنيتي .

رقية : إنها صفات جميلة حميدة لو تحلى بها طلاب العلم لحققوا فوائد عظيمة .

الوالد : لم تكن هذه صفاته فحسب يا رقية ، وإنما كان يتحلى بكل صفات الخير والتقوى وشمائل الورع والصلاح . فكان قليل الكلام لأن كثرة الكلام تضيع الوقت وتؤدى إلى كثرة الخطأ ، وكان قنوعًا عفيفًا لا يطمع فيما عند الناس وكان ورعًا يخاف الله عزوجل إلى أبعد الحدود وفي ذلك قصة عجيبة حدثت له .

رقية : وما هى يا والدي ؟

الوالد : خرج الإمام البخاري في يوم من الأيام مع بعض أصدقائه وكانوا يتسابقون بسهامهم فأصاب سَهمه وتدًا في الأرض لرجل ما فانفلق ذلك الوتد فتوقف البخاري وطلب من أصدقائه الرجوع إلى بيته ، ولما عاد نام في فراشه ، وبدا عليه الحزن والمرض . فسأله أصحابه عما به ، فقال : لقد أتلفت بسهمي شيئًا ليس ملكي وإنما هو لغيري وأخشى ألا يسامحني صاحبه فيحاسبني الله علي ذلك ،

أرسلوا لصاحب الوتد واسألوه أن يسامحني فأرسل أصدقاؤه لصاحب الوتد وحكوا له الأمر ، فأقبل على البخاري وقال له : أنا أسامحك في الوتد يا إمام ففرح البخاري ، وقام من فراشه نشيطًا متهللاً وزال عنه حزنه ومرضه .

رقية : لقد بلغ من ورعه مبلغًا عظيمًا يا والدي .

الوالد : وكذلك بلغ مبلغًا عظيمًا في عفّة نفسه وزهده في الدنيا وتواضعه للناس ، وحسن خلقه معهم ، حتى إنه لم تكن هناك صفة حميدة ولا خليقة مستحسنة إلا وتحلى بها البخاري .

رقية : لقد أحببت هذا العالم الجليل كثيرًا يا أبي .

الوالد : ومن الذي لا يحبه يا بنيتي ؟! هكذا الصالحون دائمًا يحبون الله ورسوله فيحبهم الله ورسوله ويحبب فيهم خلقه . وكان البخاري رحمه الله من الصالحين الذين أحبهم الله وحبب فيهم خلقه بسبب صلاحه وتقواه من ولادته إلى وفاته رحمه الله .

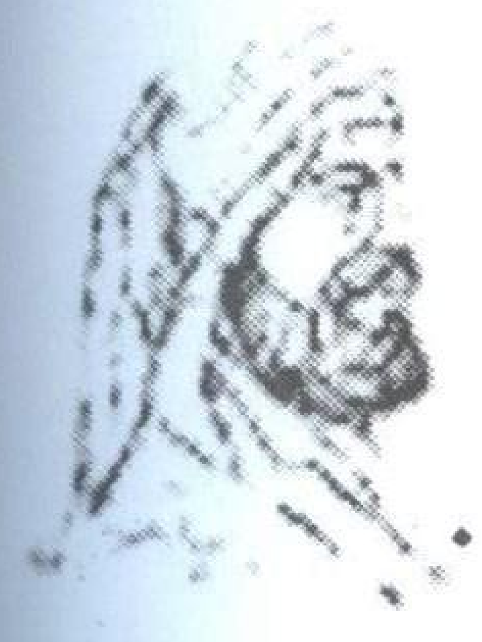

رقية : ومتى توفي البخاري يا والدي ؟

الوالد : توفي البخاري يا بنيتي سنة ست وخمسين ومائتين هجرية (٢٥٦هـ) .

رقية : أي توفي وله من العمر اثنان و ستون عاماً .

الوالد : نعم يا بنيتي : اثنان وستون عاماً كلها مملوءة بالعلم والتقوى والصلاح ورضا الله حتى ظهر أثر صلاحه وتقواه في قبره .

رقية : كيف يا والدي ؟

الوالد : لما توفي البخاري رحمه الله ذهب الناس ليدفنوه في قبره ولما دفن فاحت من قبره رائحة أطيب من ريح المسك شمها كل من كان عند قبره . واستمرت هذه الرائحة لأيام طويلة تفوح من قبر البخاري .

قالت رقية وهي تمسح دموعها التي ذرفت من عينها : رحم الله ذلك الإمام الجليل العظيم يا والدي . وليت أبناء الإسلام يقتدون به في علمه وصلاحه .

الوالد : رحمه الله يا بنيتي رحمة واسعة . ونفعكِ الله بما علمت من سيرته